

التعريف والتقدير

اهم مائة شخصية في تاريخ البشرية (١)

تأليف الدكتور مايكل هارت

نيويورك ١٩٧٨

سعر النسخة : ١٢٥ دولار

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

هذه أول محاولة جادة في تاريخ البشرية ومحاولة تصنيف شخصياته حسب أهميتها ومدى تأثيرها في تطور الحضارة والتمدن البشري ، والدكتور هارت - مؤلف الكتاب - قد أحرز عدة شهادات جامعية فقد ظفر بالبيكالوريوس في الرياضيات من جامعة كورنيل *Cornell* بأمريكا سنة ١٩٥٢ ونال البكالوريوس في القانون من كلية القانون بنيويورك سنة ١٩٥٨ ودرجة الماجستير في الفيزياء من جامعة أدلبي *Adelphi University* سنة ١٩٦٩ والدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون *Princeton* سنة ١٩٧٢ وقد عمل في مراكز الفضاء بماريلاند

The 100 A Ranking of The Most Influential Persons In History

(١) العنوان الكامل للكتاب في الأصل الانكليزي :

« المائة » : تصنيف لأعظم الأشخاص

نفوذاً في التاريخ وقد قامت بطبعه

شركة هارت *Hart* وهي شركة نشر بنيويورك يديرها والد المؤلف

هربرت هارت .

١٦٠

وبولدر بكتلورادو وفي مركز الاطلاع الفلكي بكاليفورنيا ، وهو عضو الجمعية الفلكية الامريكية .

هذا تعريف موجز بالرجل ، أما الكتاب فيضم ٥٧٢ صفحة غني بالصور الضوئية والفهارس والجداول ، وهذه الاخيرة ثلاثة :

- الجدول آ - موطن المائة الأوائل
الجدول ب - زمن ازدهارهم
الجدول ج - ماذا قدموا للبشرية

وقد جعلها ملاحق للكتاب ، في حين انه استمله بمخطط تاريخي لأهم الحوادث والتطورات مبتدئاً من سنة ٣٥٠٠ ق.م ومنتها بسنة ١٩٧٠ .

وها هي الجداول الثلاثة فهي تلقي ضوءاً مكثفاً على الكتاب برمته :

الجدول آ

موطن المائة الأوائل

| عدد الشخصيات | المنطقة |
|--------------|---------------------------|
| ١٨ | بريطانيا العظمى |
| ١٥ | المانيا والنمسا |
| ١٠ | فرنسا |
| ٨ | إيطاليا |
| ٥ | اليونان |
| ٤ | اسبانيا |
| ٣ | روسيا |
| ٨ | مختلف أقطار أوروبا الأخرى |
| ٧١ | مجموع الاوروبيين : |
| ٢ - ١١ | |

| | | |
|-----|--------------------|----------------------------|
| ٧ | مجموع الأمريكين : | الولايات المتحدة الأمريكية |
| ٨ | | أمريكا الجنوبية |
| ٣ | مجموع الأفريقيين : | أفريقيا |
| ٣ | | الصين |
| ٣ | مجموع الآسيويين : | الهند |
| ١٨ | | منغوليا |
| | | آسيا الغربية |
| | | المجموع |
| ١٠٠ | | |

وهكذا نجد أن هناك تحيزاً صريحاً لأوروبا وأمريكا ازاء أفريقيا وآسيا!

الجدول ب

زمن ازدهار المائة الأوائل

عدد الشخصيات

الفترة

| | |
|-----|-------------------|
| ٣ | ما قبل ٦٠٠ ق م |
| ١٣ | ٦٠٠ ق م – ٣٠١ ق م |
| ١٦ | ٣٠٠ ق م – ١٤٠٠ م |
| ٤ | القرن الخامس عشر |
| ٨ | القرن السادس عشر |
| ١٠ | القرن السابع عشر |
| ١٢ | القرن الثامن عشر |
| ١٩ | القرن التاسع عشر |
| ١٥ | القرن العشرون |
| ١٠٠ | المجموع |

وقد اعتبر شسكبير من شخصيات القرن السابع عشر وجيفرسون من القرن الثامن عشر وبلاك من القرن التاسع عشر ، وماركوني وفرويد من القرن العشرين *

ويلاحظ أن أعلى نسبة هي في القرن التاسع عشر ، وأن الأكثرية الساحقة هي بعد الميلاد مما يدل على أحد أمور ثلاثة إما أن الدكتور هارت لم يدرس العصور القديمة دراسة كافية أو لعدم توفر المعلومات بسبب عدم استكمال الحفريات الأثرية والبحوث ، أو أن العقل البشري لم ينضج إلا في العصور الحديثة ولم تتوفر مستلزمات البحث والاستقصاء على أتم وجه ممكن إلا في القرن التاسع عشر ، غير أنه من الظلم الحكم على القرن العشرين وهو بعد لم يكمل شيخوخته المثوية ، فمن يدري من سيظهر خلال الاحدى والعشرين سنة المتبقية من آجله ، ثم ان المؤلف قد اقتصر على الاموات دون الاحياء وبين الاخيرين من يستحق أن يكون في عداد المائة ولا سيما الجراح كريستيان برنارد زارع القلوب واستبشوا أول من نجح في تحقيق فكرة طفل الأنبوب التي يتوقع لها مستقبل عظيم باهر *

الجدول « ج » ما قدمه المائة الأوائل للبشرية :

| العدد | حقل الجهود |
|-------|-----------------------------|
| ٣٧ | علماء ومخترعون |
| ٣٠ | زعماء سياسيون وقادة عسكريون |
| ١٤ | فلاسفة |
| ١١ | رؤساء دينيون |

| | |
|-----|----------------------|
| ٦ | فنانون وشخصيات أدبية |
| ٢ | رحالون ورواد |
| ١٠٠ | المجموع |

وقد اعتُبر بيزارو وكرتيز قادةً عسكريين أكثر منهم رواداً ورحالين، ونظّم فرويد في سلك العلماء لا الفلاسفة، وعُدَّ كوتفوشيوس ولاوتسو وديكارت وأرسطو فلاسفة دنويين، وإذا كان معيار الأهمية التاريخية في رأي المؤلف مدى تأثير الشخص الدائم في بني جنسه فلا أرى مكاناً في مجموعته لجنكيز خان، ففتوحاته كانت همجية وحشيّة لم تؤد إلى نتيجة حضارية، وانتهت من غير أن تترك شيئاً سوى الدمار الذي تلافته البشرية تدريجياً فيما بعد، وما ينطبق عليه ينطبق إلى حد ما على سالتين فهل إن تاريخ أوروبا كان يتغير لو لم يظهر جوزيف سالتين، أو بعبارة أخرى هل كانت هناك حتمية تاريخية لظهوره ولا بديل لمجرى التاريخ بدونه؟ لا أعتقد ذلك! فهناك العديدون ممن قضى عليهم ستالين بالنفي والتشريد، بله القتل والاعدام، وكان بوسعهم أن يلعبوا دوراً مماثلاً أو أقل قسوة منه، وربما كان تروتسكي يكون البديل المفضل * على كل حال من الخطأ إدراج اسم ستالين بين المائة الأولى *

ولا بدع إذا ما أحدث الكتاب ضجة عالمية فكاتبه رجل موسوعي يقرأ بنهم كتباً في شتى صنوف المعرفة، فقد وضع نصب عينيه مقولة السر فرانسز بيكن المشهورة: «المطالعة تخلق الرجل الكامل» فجعل العلوم والآداب مجال دراسته وتتبعاته وهو في الأصل - كما قلنا - عالم فلكي نشر الكثير في مجال اختصاصه في المجالات العلمية ذات الانتشار الواسع وهو إلى ذلك لاعب شطرنج ما هو يأتي في الرعيل الأول من خبراء هذه اللعبة فهو أشبه بعلماء المسلمين في القرن الرابع

الهجري أو برجال عصر النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر الميلادي •
ويبدو أنه استوحى فكرة اخراج كتابه من كتاب « رسائل عن
الانكليز » Letters ON The English People لفولتير قال فيه انه خلال
اقامته في انكلترا سمع بعض الفضلاء يتساءلون « أيهم أعظم : يوليوس
قيصر أم الاسكندر الكبير أم تيمورلنك أم كرومويل ؟ » فرد أحد
الحاضرين قائلاً : « انه اسحق نيوتن فهو أعظم هؤلاء جميعاً بلا أدنى
ريب أو شك » ، فوافق فولتير على ذلك قائلاً : « اننا مدينون بالاحترام
والتقدير لأولئك الذين يسيطرون على عقولنا بقوة الصدق والمنطق ،
وليس لأولئك الذين يستعبدوننا بالبطش والعنف » •

وسواء أكان فولتير يحاول أن يتفلسف في الموضوع أم
أنه كان يتحدث عن ايمان عميق بفكرته هذه فان مايكل هارت
تلقفها على عجل وحوّرها ، وجعل « النفوذ » لا « العظمة »
موضع اهتمامه ، وراح يتساءل : « من هم المائة الاوائل الذين يمكن أن
نعدهم أعظم رجال البشرية نفوذاً بين البلايين التي عاشت على وجه
البيضة ؟ »

والظاهر أن الدكتور هارت قد تأثر حتى بالاسماء التي أوردها
فولتير في كتابه « رسائل عن الانكليز » فأوردها^(١) مضيفاً إليها اسم
فولتير نفسه ، وتأثر كذلك بفكرة ان العالم الطبيعي نيوتن هو أعظم رجل
في العالم فحوّرها جزئياً ومنحه المرتبة الثانية بعد أن جعل مكان الصدارة
لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بكل جدارة واستحقاق ، ولعله
كان في صراع بين أن يجعل نيوتن أو المسيح في المرتبة الثانية وفضل

(١) باستثناء تيمورلنك • وكان بوسعه أن يستثنى اسم « كرومويل »
أيضاً لأن تأثيره كان وقتياً في الجزر البريطانية وسرعان ما عادت
الملكية إليها بعد وفاته بعامين •

أن يجعل فاصلة بين النيين لئلا يُتَّهم بالتحيز العلمي^٣ ، وقد اختار « النفوذ » لا « العظمة » معياراً ليتسع له المجال على حد قوله لاضافة بعض المتنفذين الاشرار من غير العظماء من أمثال ستالين وهتلر وجنكيز خان الى قائمة الذين غيروا مجرى تطور الحياة البشرية وكان لهم أعظم تأثير في التاريخ ، وقد وضع الاسماء حسب تسلسل أهميتها من حيث النفوذ عامة والحياة اليومية خاصة وبينهم النيل والشير والشهير والنكرة والمتعجرف والمتواضع ، فجاءت القائمة على الوجه التالي وعلى رأسها محمد (صلى الله عليه وسلم) :

- ١ - محمد (صلى الله عليه وسلم)
- ٢ - نيوتن ٣ - المسيح ٤ -
- بوذا ٥ - كونفوشيوس ٦ - القديس بولص ٧ - تساي لون (مخترع الورق)
- ٨ - يوحنا غوتنبرغ (مخترع الطباعة) ٩ - كولومبس ١٠ -
- اينشتاين (صاحب النظرية النسبية) ١١ - كارل ماركس ١٢ - باستور
- ١٣ - غاليليو ١٤ - ارسطو ١٥ - لينين ١٦ - النبي موسى ١٧ -
- دارون ١٨ - شي هوانغ تي (الامبراطور الذي وحد الصين في القرن الثالث ق م)
- ١٩ - اغسطس (قيصر الروماني) ٢٠ - ماوتسي تونغ ٢١ -
- جنكيز خان ٢٢ - اقليدس ٢٣ - مارتن لوثر ٢٤ - كوبر نيكس (الفلكي البولندي)
- ٢٥ - جيمس واط (مخترع المكائن البخارية الاسكتلندي)
- ٢٦ - قسطنطين العظيم (أول امبراطور روماني اعتنق المسيحية في القرن الرابع للميلاد فانتشرت في أوروبا برمتها)
- ٢٧ - واشنطن ٢٨ - فارادي
- ٢٩ - ماكسويل (الفيزيائي) ٣٠ - الاخوان اورفيل وويلبور رايت (مخترعا الطائرة)
- ٣١ - لافوازيه ٣٢ - فرويد ٣٣ - الاسكندر المقدوني
- ٣٤ - نابوليون ٣٥ - هتلر ٣٦ - شكسبير ٣٧ - آدم سث ٣٨ -
- توماس اديسون ٣٩ - انطوني فان لوفينهووك ٤٠ - افلاطون ٤١ -
- ماركوني ٤٢ - بيتهوفن ٤٣ - فيرنر هايزنبرغ (الفيزيائي الالماني) ٤٤ -

اليكساندر غراهام بيل (مخترع التليفون) ٤٥ - اليكساندر فليسنغ
 (مكتشف البنسلين) ٤٦ - سيمون بوليفار (محرر أمريكا الجنوبية من
 النير الاسباني) ٤٧ - كرومويل ٤٨ - جون لوك ٤٩ - ميخائيل
 انجيلو ٥٠ - البابا اوربان الثاني (مؤرث نيران الحروب الصليبية)
 ٥١ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ٥٢ اسوكا (مؤسس أول امبراطورية
 هندية عظيمة في القرن الثالث ق م) ٥٣ - القديس اوغسطين (الفقيه
 المسيحي الذي عاش في القرن الرابع أي في دور انحطاط الامبراطورية
 الرومانية) ٥٤ - ماكس بلانك (الفيزيائي الالماني) ٥٥ - جون كالفن
 ٥٦ - وليم مورتن (أول من استخدم التخدير في الجراحة ١٨١٩-١٨٦٨)
 وليم هارفي (مكتشف الدورة الدموية الكبرى) ٥٨ - انطوان هنري
 بيكويريل (مكتشف الاشعاعات الذرية) ٥٩ - غريغور ميندل ٦٠ -
 جوزيف ليستر (الجراح البريطاني الذي أدخل وسائل التعقيم في
 الجراحة) ٦١ - نيكولاس اوغست أوتو (المخترع الالماني) ٦٢ - لويس
 داغير (مخترع التصوير الفوتوغرافي) ٦٣ - ستالين ٦٤ - ديكارت
 ٦٥ - يوليوس قيصر ٦٦ - بيزارو (المغامر الاسباني الذي انتصر على
 امبراطورية الانكا في بيرو) ٦٧ - كورتيز (فاتح المكسيك) ٦٨ -
 الملكة ايزابيلا الاولى (التي استولت مع زوجها فرديناند على دولة
 بني الاحمر) ٦٩ - وليم الفاتح ٧٠ - توماس جيفرسون (الرئيس
 الثالث للولايات المتحدة) ٧١ - جان جاك روسو ٧٢ - ايدوارد جينر
 (الطبيب الانكليزي صاحب لقاح الجدري) ٧٣ - روتكن (مكتشف
 الاشعة السينية) ٧٤ - باخ (الموسيقار) ٧٥ - لاونزو (الفيلسوف
 الصيني الذي عاش في القرن الرابع ق م) ٧٦ - فيري (مصمم المفاعل
 الذري) ٧٧ - توماس مالثوس (صاحب النظرية السكانية) ٧٨ -
 فرانسز بيكون ٧٩ - فولتير ٨٠ - جون كينيدي ٨١ - غريغوري

- بنكس (مكتشف حبوب منع الحمل) ٨٢ - سوي وين تي (الامبراطور الذي وحد الصين في القرن السادس الميلادي) ٨٣ - ماني (نبي المانوية في القرن الثالث للميلاد وقد دامت ألف عام أو يزيد مستدة الى المحيطين الاطلسي والباسفيكي) ٨٤ - فاسكودا غاما (الرحالة البرتغالي مكتشف طريق الهند حول رأس الرجاء الصالح) ٨٥ - شارلمان ٨٦ - كوروش (مؤسس الامبراطورية الايرانية في القرن السادس ق م) ٨٧ - ليونارد أولر (الرياضي والفيزيائي السويسري) ٨٨ - ماكيافيللي (الفيلسوف السياسي الايطالي) ٨٩ - زرادشت (٦٢٨ - ٥٥١ ق م) ٩٠ - مينيس أوميناء (حوالي ٣١٠٠ ق م ، الفرعون موحد مصر وهو من الاسرة الاولى) ٩١ - بطرس الكبير ٩٢ - مينشيس (الفيلسوف الصيني خليفة كونفشيوس) ٩٣ - جون دالتون ٩٤ - هوميروس ٩٥ - اليصابات الاولى ٩٦ - جستيان الاول (الامبراطور الروماني) ٩٧ - يوهان كيلر (الفلكي الالماني) ٩٨ - بابلو بيكاسو (١٨٨١ - ١٩٧٣) ٩٩ - ماهافيرا (بطل عظيم ومؤسس ديانة هندية ٥٩٩ - ٥٢٧ ق م) ١٠٠ - نيلز بوهر (١٨٨٥ - ١٩٦٢ ، صاحب نظرية التركيب الذري) *

وهكذا نجد أن هناك ثلاثة عوامل هي : (١) النفوذ (٢) العظمة (٣) الشهرة * وقد تجتمع على صعيد واحد في نفس الشخص وقد لا تجتمع ، فبين المائة الذين أدرجهم هارت في كتابه شخصيات لم ترزق نعمة الشهرة ، مثل تشاي لون الصيني مخترع الورق ، وغريغوري ينكس ، مكتشف حبوب منع الحمل *

على أن الشيء المؤسف هو أن اطلاعه على الحضارة العربية - الاسلامية دون اطلاعه على الحضارة الاوروبية ولو لم يكن الامر كذلك لما نسب فضل اكتشاف الدورة الدموية الى وليم هارفي وحده في حين

أن ابن النفيس الدمشقي (١٢١٢ - ١٢٨٨ م) سبقه الى ذلك بثلاثمائة عام ، وكان على الاقل يجعل الفضل مشتركاً بين ابن النفيس وهارفي على نحو ما فعل في فضل اختراع الطائرة اذ جعله مشتركاً بين الاخوين من آل رايت : أورفيل وولبور

ويبدو أنه شعر بغمط حقوق بعض العظماء فأضاف قائمتين ملحقتين الاولى بعشرة أسماء هي :

- (١) توماس اكوانياس (١٢٢٥ - ١٢٧٤)
- (٢) ارخميدس (٢٨٧ ق م - ٢١٢ ق م)
- (٣) شارلس بايج (١٧٩٢ - ١٨٧١)
وهو مخترع انكليزي وضع مبادئ أدت بعده بقرن الى اختراع العقول الالكترونية الحديثة *
- (٤) شيوبس (عاش حوالي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد) ، وهو في الحقيقة الملك خوفو المصري وقد منحه الدكتور هارت اسمه الاغريقي *
- (٥) ماري كيوري (١٨٦٧ - ١٩٣٤) ولكن أهميتها في نظر المؤلف ليست فيما أنجزته بل في كونها امرأة قامت ببحوث وتتبعات علمية *
- (٦) بنيامين فرانكلن (١٧٠٦ - ١٧٩٠)
وهو عبقرى متعدد الجوانب أكثر تعداداً في اتجاهاته من ليوناردو دافنشي ، فقد برع في التجارة والعلوم والآداب والسياسة على حد سواء *

- (٧) المهاتما غاندي (١٨٦٩ - ١٩٤٨) *
- (٨) ابراهام لنكولن (١٨٠٩ - ١٨٦٥)
محرر العبيد في الولايات المتحدة *
- (٩) فرديناند ماجلان (حوالي ١٤٨٠ -
١٥٢١) الرحالة البرتغالي *
- (١٠) ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ - ١٥١٩) *

وفيسا كان المؤلف يضع كتابه تقدم اليه أصدقائه والمشاركون له في العمل بقوائم بأسماء أخرى رأى من الضروري الإشارة إليها ، وكان من بينها قائمة العشرة التي ذكرناها آنفاً بالاضافة الى نيل ارمسترونغ (أول انسان هبط على القمر) وبسمارك وروبرت بويل وتشرشل وداتني ودارا العظيم وهنري فورد وفرديريك العظيم وجالينوس وحمورابي وهيكل وهنري الثامن وابقراط واخناتون وجان دارك وكانت ومارتن لوثر كنج والفريد كينسي وقبلاي خان ولاينتز (الفيلسوف) ولويس الرابع عشر ومريم العذراء والسلطان محمد الثاني (فاتح القسطنطينية) وموتسكيو وماري موتسوري وموتزارت ومعاوية بن أبي سفيان وباسكال وبافلوف وماركو بولو وبطليموس وفيثا غوراس ورامبراندت وفرانكلن روزفلت وسرجون الاكدي وجوزيف سميث (نبي المورمون الامريكى) وسقراط وسوفوكليس وصان يات صن ، وتيمورلنك وتولستوي ، وهاري ترومان وجيمس وطسون وماري وولستون كرافت (زوجة الشاعر شيلي) الخ * * * * * ولكنه لم يوافق عليها رغم ذكره لها (ص ٥١٧-٥١٨) مؤكداً أنها لا تؤلف المائة الثانية في الأهمية *

وكنا نودّ لو أن الفصل الحادي والخسين (ص ٢٧١ - ٢٧٥)

الذي كتبه عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥٨٦ - ٦٤٤ م) كان أكثر عمقاً وتفصيلاً ، فهو كما يقول أعظم خلفاء المسلمين جميعاً ويشبهه في اعتناقه الاسلام بالقدّيس بولص في اعتناقه المسيحية ويستدح أبا بكر قائلاً : لقد كان زعيماً موفقاً ناجحاً رغم قصر أمد خلافته التي لم تتجاوز العامين ، إلا أن أهم الانتصارات العربية - الاسلامية أحرزت في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فقد افتتحت الشام وغلستين اللتان كانتا جزءاً من الامبراطورية البيزنطية في اعقاب معركة اليرموك (سنة ٦٣٦ م) التي تعتبر من المعارك الحاسمة في التاريخ ، وافتتحت دمشق في السنة ذاتها ، والقدس بعدها بعامين ، وبحلول سنة ٦٤١ كان العرب سادة فلسطين وسوريا وهم في طريق الزحف على ما نسميه اليوم بالجمهورية التركية ، وكانت الجيوش العربية سنة ٦٣٩ قد اجتاحت مصر التي كانت تزرع تحت النير البيزنطي وتم فتح مصر في ثلاثة أعوام فحسب ، وكان فتح العراق قد بدأ قبل أن يتسنم عمر مقاليد الخلافة ، وكانت المعركة الحاسمة هناك القادسية ، في خلافة ابن الخطاب (رضي الله عنه) وانتزع العراق كله من سيطرة الساسانيين عام ٦٤١ ، ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد اكتسحت بلاد فارس ذاتها ، وفي سنة ٦٤٢ جرت موقعة نهاوند وكانت فيها خاتمة آخر الأكاسرة الساسانيين ولم يتوقف زخم الجيوش الاسلامية المتقدمة بنقتل عمر (رضي الله عنه) فقد أكمل فتح شرقي ايران ، أما في افريقيا فقد كانت الجيوش التي فرغت من فتح مصر مندفعة لاكمال فتح الشمال الافريقي برمته *

ويعتبر الدكتور هارت فتوح العرب حروباً وطنية أكثر منها دينية مقدسة ولو أنها لم تكن لتخلو من نزعة دينية ، ولولا همة عمر في سرعة انقاذ الجيوش الفاتحة لما قيّض للاسلام أن ينتشر هذا الانتشار الهائل ،

ولكن شخصية عمر بن الخطاب رغم عظمتها تكاد تكون غير معروفة في الغرب ولو أنه في الحقيقة أعظم من شارلمان ويوليوس قيصر ، ففتوحات عمر من حيث السعة والدوام أعظم من فتوحات شارلمان أو قيصر من دون أدنى ريب أو شك *

هذه بعض اللوح من كتاب « المائة » للدكتور مايكل هارت الذي نرجو أن يكتب ما يضارعه بالعربية بمزيد من الانصاف للعبقرية العربية *

د. صفاء خلوصي

اكسفورد

